١٤٣٨

سلسلة :

المنهجيَّة في دَرْءِ الشُّبُهات

الدرس الثالث: منهج القرآن الكريم في درء الشُّبهات

الشيخ: د. عبد العزيز بن محمد السَّدحان

مجموعة من المحاضرات العلمية والتي ألقيت بجامع عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- بحي الوادي بمدينة الرياض، في الثامن عشر من شهر ذي القعدة لعام ألفٍ وأربع مئة وثلاثةٍ وثلاثين من الهجرة النبوية

فريق التفريغ
١٤٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

[1]* الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، أما بعد:

أحمد الله -جل وعلا- الذي يسَّر ما كان عسيرًا، وقرَّب ما كان بعيدًا، وهيَّأ لنا جميعًا من أمورنا رشدًا، ثم أشكر الإخوة الأفاضل القائمين على هذا المسجد أو على هذه الجامعة المصغَّرة في مناشِطها وفي حرصها على نشر العلم، يشهدُ لهذا كثرة ما يُقرأ ويُسمع من المناشِط المتنوعة سواءً في الدورات العلمية أو في الدروس اليومية والأسبوعية أو في الأيام العلمية، ناهيكم عن الكلمات المتفرقة وعما يَتْبعُ هذا الجامعة من مناشط أخرى نسائية وما شاكلها.

ثم أعتذر عن المادة العلمية المقدَّمة التي سأطرحها بين أيديكم؛ لأن الخبرَ جاءني قبل دخولي عليكم بساعة تقريبًا وثلث -وقد تزيد قليلًا وقد تقل-، وسأذكر في هذا المجلس بعض النقاط المتعلِّقة بالشُّبه؛ لأنه كما مرَّ على نظري أن هذا اليوم متعلّق أو يدور في فحوى الشبهات والرَّد على الشبهات.

وسأذكر تسعة أمور قد تقل أمرًا وقد تزيد آخر حسب سياق الكلام، فأقول وبالله التوفيق على هذا الموضوع -موضوع الشبهات والرد على الشبهات وشيء من المنهجية في التعامل مع أهل الشبهات-، أقول وبالله التوفيق:

- **الأمر الأول: القطع واليقين بكمال أحكام الشريعة وأن أحكامها صالحة لكل زمان ومكان.**

مهما اختلفت أحوال الناس وألسِنتهم وتباعدت أقطارهم وأمصارهم، وأن أحكام الشريعة كاملة بل بلغت في الكمال أعلاه، وفي الحُسنِ منتهاه، لا تعارُض فيها ولا تناقض ولا زيادة ولا نقصان، تنزيل من حكيم حميد. ونحن نقرأ ونسمع في القوانين الوضعية ما بين فينةٍ وأخرى: تغيير مادة، تعديل مادة، حذف مادة، تقديم أو تأخير أو زيادة مادة؛ لأنها من أحكام البشر ومن إملاء عقول البشر المجرَّدة عن الوحي، فلهذا يقع فيها التناقض والاضطراب والخلل، وأما ما كان في شأن الشرع ولو كان من عند غير الله كما قال ربنا: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

[1] رابط المحاضرة: https://archive.org/download/mohamed199230_gmail_02/03.mp3
رابط السلسة: https://archive.org/details/mohamed199230_gmail_02

ففي أحكام الشريعة لا يوجد خلاف، كلها سليمة، تشهد وتقطع بصحتها وسلامتها وكمالها الفِطَر المستقيمة والعقول السليمة.

- **الأمر الثاني: إيراد الشبهة على أحكام الشريعة ليس وليد العهد.**

بل هو ضارِبٌ في ظهور الإسلام، وكان أهل الشُّبه في زمن النبي ﷺ يوظّفون تلك الشُّبه للتشكيك، وإيراد المتناقضات في زعمهم، وإدخال الحيرة في نفوس المسلمين، وقد قصَّ الله وذكر الله –جلَّ وعلا– في القرآن شيئًا من هذا: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران: ٧].

فما سلكوا هذا المسلك إلا لزرع بذور الفتنة في المجتمع المسلم، وكان لليهود قدمٌ راسخة في إيراد الشُّبه، وفي طرح الأسئلة المشكِّكة –في زعمهم–، والمُستصَعْبة في ظنهم من باب إدخال الريبة والحيرة والتناقض على أهل الإسلام، وسيأتي بيان لمثال أو مثالين في أثناء الحديث.

شاهد المقال أن إيراد الشبه ليس جديدًا، ولهذا لا يكون مُستغربًا وبالأخص في هذا الوقت الذي كثرت فيه وسائل الإعلام المتنوعة من مقروء ومسموع ومرئي، وهذا مما يُعين على انتشار الشر، وانتشار الخير، فمن وظَّف تلك الوسائل للخير فهو مأجور، والنَّفع كثير، ومن وظَّفها للشر فهو مأزور والضَّرر كثير، والحرب سِجال.

إذًا علمنا أن إيراد الشبه ليس جديدًا، بل إن بعض الشبه في هذا الوقت هي قديمة؛ لكنَّ صياغتها في قالب حديث حتى تُناسب أهل العصر، وحتى تتواءم مع ثقافة أهل العصر.

- **الأمر الثالث: حرص أهل الشبه على تتبُّع الآيات التي يزعمون أن لهم فيها مدخلًا.**

أو أن لهم فيها حُجَّة، وكذا ما يتعلَّق بالأخبار النبوية، حرصوا على إيراد الإشكالات، فيحرصون على جَمْع ما ظاهِرُه التَّعارض من الأحاديث النبوية، وقبل ذلك في السياقات القرآنية للآيات الكريمة، فيقرأ أحدهم القرآن من أوله إلى آخره بقصد التشبث –بزعمه– بكل ما يكون داعمًا لحجته أو لشبهته، ويفرحون إذا وجدوا آية

ظاهرها يعارض آية، أو حديثًا ظاهره يعارض حديثًا آخر، فيجعلونها في صَدَارة الشُّبه للتشكيك وإدخال الريبة.

- **الأمر الرابع: أن أهل العلم وأهل الحق قارعوا هذه الشبه الداحضة بحجج دامغة.**

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فخرجت مُصنَّفات مُستقلَّة في هذه المباحث، فمثلًا يعمد بعض المفسّرين أو بعض المؤلفين إلى إفراد تلك الآيات التي تعلَّق بها أولئك واحتجُّوا بها في مقامات باطلة، فيُورِد تلك الآيات ويبيّن بُطلانَ احتجاجهم في المواضع الباطلة، ثم يبيّن الوجه الصحيح أو الوجهة الصحيحة لوضع الآيات في مواضعها، ومن الكتب المعاصرة كتاب الشيخ الشنقيطي -رحمه الله تعالى- محمد الأمين [دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب]، يورِد آياتٍ إذا قرأها الإنسان أو وظَّفها بعضهم توظيفًا باطلًا، أو أَوْرَد بعضهم آيتين في ظاهرهما كما يزعم أن فيها تناقضًا، وأن بعضها يُبطل بعضًا.

ومثل هذا فيما يتعلَّق بالأخبار النبوية، فكما جَهَد أهل البدع وأهل الضلال وأهل الشبه في جمع نصوص نبوية من باب التشكيك وإيراد التعارض عليها، قارَعَهم أهل العلم بالرد على هذه الشبه بمصنَّفات تارة تكون مستقلة، وتارة تكون الردود منثورة في بطون الكتب، كتب التفاسير وكتب الشروح، لكن من الكتب المستقلة المصنفة في هذا : كتب تأويل مُختلَف الحديث، ومن أعظمها كتاب ابن قتيبة الدِّينَوَري -رحمه الله تعالى-، هذا الإمام أفرد كتابًا سماه [تأويل مختلف الحديث]، ثم يورد: قالوا حديثان متناقضان، ثم يسوق الحديثين، ويذكر ما تعلق به أرباب الشبه، ثم يفنّد ذلك بردٍّ علمي يزيد المؤمن إيمانًا، ويدحض صاحب الشبهة ويُبطل قوله.

- **الأمر الخامس: على طالب العلم الحذر من قراءة كتب أهل الشبهات.**

وإياك أن تُقدِم على أمرٍ ليس عندك بيّنة فيه ولا قدرة على التخلُّص من الشك والريبة في أثناء دخولك فيه، وكما قال بعضهم: "دخل فلانٌ بحرًا لا يحسنُ السباحة فيه فغرق"، فالحذر كل الحذر أن يُقدِم طالب علم فيقرأ في كتاب من كتب الضلال أيًّا كانت، وبالأخص ما يتعلق بالشبه، فتلك الكتب تورِد على

الإنسان موارد، فقد يكون عنده يقين، لكن هذا اليقين مع قوة الشبهة وضعف علمه يبدأ جدار اليقين بالتصدُّع، ويُخشى أن ينهار، وقد حصل في أناس فحول، فينبغي الحذر من هذا المسلك المَشِين.

وقد حذَّرنا نبينا ﷺ من هذا فقال: (**إذا سمع أحدكم بالدجال في مكان فلينْأَ عنه**)؛ ابتعد عنه، فتنة، (**فإن أحدكم** -في معنى الحديث- **يأتيه وهو مؤمن، فإذا رأى ما عنده تبعه**)، فأنت الآن شبه الدجال حقيقة، يأتي الدجال بأشياء؛ يقتل الرجل بإذن الله، ثم يُعيده كما كان، ثم يمر على الأرض الخَرِبَة فيشير لها بيده فتتبعُه كنوزها، ويقول للسماء أمطري فتمطر، أشياء محسوسة مرئية ومسموعة، فهنا إذا رآها الإنسان يغترّ ويتأثر.

فالحذر كل الحذر من إتيان مواطن الشبه والقراءة في كتبها، وقِسْ على هذا تتبُّع القنوات والمواقع الإلكترونية التي تعنى بإيراد الشبهة على المسلمين، وما أجمل ما قال ابن القيم في [النونية]، عندما تكلم عن كتب أهل الضلال قال:

فانظر ترى لكن نرى لك تَرْكَها حذرًا عليك مزالِق الشيطان

إذا كان عند الإنسان مَلَكة وقدرة علمية وقوة ذهنية، فهنا يدخل يقرأ ويرد، أما إذا كان فقط من باب حب الاطلاع والتوسع المعرفي دون أن يكون عنده رصيد مِمّا يدفع تلك الشبه، فالحذر كل الحذر.

ذكر الشيخ ابن بسام -رحمه الله- في [علماء نجد] عن الشيخ ابن سعدي فيما أذكر أنه كان يُقرأ على شيخهم الشيخ إبراهيم بن جاسر -رحمه الله- كتاب [منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية] لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، يقول: في أثناء القراءة كان الشيخ ابن جاسر يبكي، والموطن ليس موطن بكاء، يعني مواطن البكاء فيها رقة وفيها إثارة وفيها كذا وكذا، لكن الموقف أو الموطن أو الكلام المقروء ليس كلامًا فيه رقة وفيه نوع من الخشوع أو كذا، كلام سرد أدلة والرد عليها، قال: فتعجَّبنا من بكاء الشيخ؛ لأن الموطن ليس موطن بكاء!، فلما فرغَ القارئ من القراءة سألناه ما الذي أبكاك؟

فقال -في معنى كلامه-: هذه الشبه التي سمعناها تَهُدُّ الجبال أو تزيد على أماكنها من قوتها ولولا أن الله قيّض هذا الرجل ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ما يكون أثر تلك الشبهة على المسلمين؟!

فالحذر كل الحذر أن تُولِج نفسك مدخلًا أو نفقًا لا تعلم مُنتهاه، حتى أنني قرأت أو سمعت قديمًا أن عالِمَين بلغا في الشهرة مبلغًا في التصانيف، إلا أن أحدهما تخبَّط في معتقده، وأقبل وأدبر وقام وقعد ودخل

وخرج، بينما الأول على صراطٍ مستقيم، قالوا والسبب في البحث في سِيرهما أن الذي تخبَّط ناظر أهل البدع وداخلهم ولم يكن عنده قوة منهجية وعلمية في مناظرتهم، بينما الأول على عكسه بعدما قعَّد نفسه وضبط أموره العقائدية تلك الساعة حمل سلاحه فنصره الله.

فنصيحة لنفسي ولإخواني جميعًا: عدم جعل الآذان وعاءً لما يُثار من الشُّبه، وعدم إعطاء النَّفس حريَّتها في القراءة في الكتب، وكما قلتُ لك آنفًا: وسائل التقنيَّة الآن قرَّبت البعيد وجمعت المتفرِّق، فمواقع وقنوات خاصة بإيراد الشبهات على المسلمين فلا تلِج إليها إذا كُنتَ تعلم من نفسك الضَّعف في العلم أو عدم القدرة.

- **الأمر السادس: إذا بُليتَ في مجلس بصاحب شبهة فما أنت قائل؟**

أحيانًا تبتلى، مجلس عائلي، مجالس الحي يُثير أحدهم شبهةً فتتَّجه الأنظار إليك، أنت موطن القدوة وعليك سيما العلم، فما أنت قائل؟

هنا كما يقال رد الشبهة على قسمين: رد إجمال ورد تفصيل؛ إذا كنت لا تعرف الرد على الشبهة إيّاك أن تخوض في جزئيات وتفاصيل فقد يخصِمُك، وقد يكون صاحب حُجَّة وصاحب لسان ولحن في القول، فيكون دخولك معه إضعافٌ للحق في نفوس الناس وتقوية للباطل، فلا تَلِجْ هذا الولج التفصيلي، ولكن عليك بالرد الإجمالي، فتقول: كلامك هذا بَيّنَ أهل العلم وبَيّنَ مشايخنا بطلانه، وأنا لا أحفظ أدلتهم وأقوالهم، لكن الوصول لها سهل، لكن كلامك هذا مردود ولستَ أوَّل من قال ولن تكون آخر من قاله.

هذا الجواب بحد ذاته إضعافٌ لقوله، ودَعْهُ لا تكلمه، لا تخُض معه، يكفي أن الحاضرين سمعوا أن هذا القول باطل وأنك اتَّكأت على قول أو على أقوال أهل العلم وعَزَوتَ لها، وثِق أن ردَّك هذا سيؤثر في صاحب الشبهة فيزداد تغيرًا إن كان قصده الباطل، وإن كان أوردها من باب الاستفهام فقد يكون هذا الرد مفتاحًا للخير له، المهم لا ترد على الشبه أو تخوض من باب العاطفة.

وهنا وقفة، بعض الناس تحكمه عاطفته لا عِلمه ولا عقله، يتأثر عاطفيًا، وأنت تعلم أن العاطفة إذا لم تُزمَّ بزِمام العلم الشرعي تنقلب إلى عاصفة، والعاصفة تُفسِد وتهدِم؛ فالقول بالرد الإجمالي هذا والحمد لله

ميسَّر لكل أحد، حتى عامة المسلمين إذا أورد عليهم بعض الناس إيرادات، يقول: ما سمعنا هذا، ونعرف من مشايخنا خلاف ما تقول وإن كان عندك علم فاذهب إليهم، هذا في حدِّ ذاته ردود تدحض حجتهم.

أما إذا كان عندك رد تفصيلي أيضًا يقال في المقام تفريق؛ إن كان الحاضرون من عامة الناس فلا داعٍ للرد التفصيلي لأن هذا لا يُفيدهم، بل قد يُورِد عليهم موارِد، بل إن بعضهم إذا سمع ردًا تفصيليًا أورد عليك إشكالات فتطول المسألة، أما إن كانوا طلَّاب علم ويحتاجون فنعم.

ولهذا من فِقه طالب العلم التَّفريق بين المتحدَّث معهم، لعلكم تذكرون في [صحيح البخاري] كتاب الحدود، باب رجم الحبلى بعد الزنا، لما قال رجل لعمر، وعمر كان في الحج: إن أقوامًا يقولون، ثم ذكر مسألة تتعلق ببيعة الصديق فغضب عمر لبطلان كلامهم، وقال: "أما والله لأقومن العشيَّة في الناس لأبيِّن الأمر هذا"، فقال له ابن عوف: "يا أمير المؤمنين إنك إن قمت العشية في الناس فإن أقرب الناس إليك الغوغاء فيسمعون مقالتك ويُطيّروها على كل مُطيَّر، ولكن أمهِل حتى تقدُم المدينة، فإن بها أهل العلم والفضل يسمعون مقالتك ويَعُونها"، فينبغي لطالب العلم أن يفرق بين الحاضرين حتى في الأسلوب الكلام.

وأستميحكم عذرًا في أن بعض طلاب العلم يُلقي كلامًا على أناسٍ لا يستفيدون منه أبدًا مع أنه كلام علم؛ لأن الأسلوب رفيع ومفردات الخطاب فيها عمق فلا يستفيد أكثر الحاضرين، واجعل هذا ضابطًا مطَّردًا، لا تتحدَّث إلا إذا كان في الحديث مصلحة، فإنْ تحدَّثت فانظر مَن تتحدَّث معه، كلامك مع طالب العلم ليس مثل تكلمك مع العامي، مع المتلبّس بالمعصية، مع صاحب السلطة، يختلف.

- **الأمر السابع قبل الأخير: مما ذكروا في آداب المناظرة:**

- **أولًا**: قبل الدخول في المناظرة: انظر هل المصلحة المتحقِّقة أكبر أم لا؟ أحيانًا قد تدخل في مناظرةٍ مع شخص وتخصِمُه لكن قد يترتَّب عليها أشياء، إشكالات، إدخال شكوك عند الحاضرين، وبخاصة كما قلت لك إذا كان الحاضرون فيهم سواد من العامة.

- **ثانيًا**: الإخلاص، إخلاص طالب العلم في دخوله في المناظرات العلمية ورد الشبهات من أعظم أسباب التوفيق للنصر، لا تنتظر مدح المادحين ولا تنتظر ثناء المُثنِين، ولا أن تُشنِّف آذانك بالمدح

والتَّبجيل، أبدًا، انظر أنك تتقرب إلى الله بردِّ شبهة، لإزهاق باطل وإحقاق حق، مدحك الناس أو ذمُّوك لا عليك، المهم أرضِ الله تعالى، ومن أرضى الله رضي عنه الله سواءً سخِط الناس أو رضوا، بل من كرم الله إذا أسخطتَ الناس بمرضاة الله رضي الله عنك وأرضى عنك الناس، لكن المصيبة إذا أسخطتَ الله برضى الناس سخط الله عليك وأسخط عليك الناس.

- ثالثًا: العلم؛ أن يكون عندك علم وبصيرة، إما أن تتكلَّم بعلم أو أن تصمُت بحكمة، وقد أخبرتك أن الرَّد الإجمالي لا يعجز عنه أحد، لكن المصيبة أن يدخل بعض الناس في مناظرات وبخاصة إذا كانت منقولة إعلاميًا أو مصوَّرة وموثَّقة صوتًا وصورة، فقد يتغلَّب عليك صاحب الباطل ويوظّف تلك المناظرة في بثها بين الناس، فيتأثَّر بها الكثير وتكون أنت سُبَّة وشامة سوء على أهل العلم، بل على الإسلام عمومًا، فلا تُناظر إلا إذا كنت على علم، أيْ المناظرة التفصيلية، أما الإجمال الحمد لله مخرج لكل أحد.

- أيضًا مما ينفع في المناظرة أن تقرأ عن الموضوع بكثافة، أحيانًا يأتيك خبر أن فلانًا أو صاحب شبهة في هذا الموضوع سيُثيرها فإذا قرأ طالب علم وتسلَّح -بعد توفيق الله- بالقراءة، ويحرص على إيراد المتناقضات عليه، وسأضرب لك مثالًا آخر.

- وكذلك أمر آخر أو من أسباب دحض الحجة: جعل السائل مسؤولًا، يسمونه القلب؛ قلب السؤال على السائل، هذه تُقنع طالب الحق فيزداد للحق لزومًا، وتدحض شبهة صاحب الباطل، فإن كان قصده الخير أقلع عن شبهته. وقد كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب، الذي هو قلب السؤال على السائل، يعني الرسول ﷺ إجاباته النبوية حقيقة متنوعة، وقد أنعم الله عليّ بجمع رسالة في فقه الجواب النبوي، فإذا رأيت الإجابات النبوية تجد الذكاء والفطنة والفراسة والنباهة النبوية العجيبة. في هذا الموطن -الذي هو قلب السؤال على السائل- يأتي صحابي، فيقول: يا رسول الله، إن امرأتي أنجبت غلامًا أسود، وبشرته بيضاء، أو العكس، لو كان أسودًا وجاء ابنه أبيض، يا رسول الله إن امرأتي أنجبت غلامًا أسود، يعني بشرتي تختلف، يعني الصحابي هذا داخله الشك، لا يُلام مسكين، الظاهر غير الأصل، لو قال الرسول ﷺ: هو ولدك، سيقتنع ويذهب، لكن قد يبقى في النفس

حُسَيْكَة، لكن ماذا قال له؟ قال: (**أَلَك إبل؟**) قال: "نعم"، الآن أصبح الرسول ﷺ يسأل، والسائل أصبح مسؤولًا، قال: (**ما ألوانها؟**)، قال: "دُهم". قال: (**هل فيها مِن أَوْرَق**)؟، يخالف لون هذه، قال: "نعم يا رسول الله"، قال: (**أنَّى ذلك؟**)؛ يعني كيف جاء هذا الإبل هذا البعير بلون مستقل عن بقية الذَّوْدة أو عن بقية الإبل؟ قال: "يا رسول الله، لعلَّه قد نَزَعه عِرْق". فقال: (**غلامك هذا لعله قد نزعه عِرق**)، اقتنع.

في المسند -أظنه- عن جابر أو عن أنس: "جاء شاب فقال يا رسول الله: ائذن لي بالزنا"، وإن كان ليس هناك شبهة ولكن قلب السؤال للسائل يزيد السائل الأصلي يقينًا بالجواب، قال: "يا رسول الله ائذن لي بالزنا"، فقال عليه الصلاة والسلام: (**أترضاه لأمك؟**)، قال: معاذ الله، قال: (**كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم. أترضاه لأختك؟**)، قال: معاذ الله، قال: (**كذلك الناس**)... الخ، يقول الراوي فقال: أترضاه لعمتك، لخالتك، لابنتك، لامرأتك، وهو يقول: معاذ الله، فلما فرغ الرسول ﷺ الصحابي الشاب علم أن جوابه ليس له سبيل، قال: "يا رسول الله ادعُ الله لي"، فضرب عليه السلام على صدره وقال: (**اللهم اجعله هاديًا مهديًا**). قال الراوي: "فما رأينا أَعبَدَ لله منه في المدينة".

اليهود من أعظم الناس فقهًا في إيراد الشبه والضلالات، فقد استعملوا مع الرسول ﷺ إجابات متنوعة ومن ضمنها هذا المنهج: قلب السؤال على السائل، قرأتُ حديثًا أظنه عند الحاكم في [المستدرك]: أن ثلة من اليهود قابلوا النبي -عليه الصلاة والسلام- في طريق فقال أحدهم: "يا محمد جنَّة عرضها السموات والأرض، أين النار؟"، شبهة، فقال ﷺ: (**يا حَبْر إذا جاء الليل أين يذهب النهار؟**)، قال: "يا محمد يفعل الله ما يشاء"، قال: (**كذلك يفعل الله ما يشاء**)، هذه إجابة نبوية ما يردُّها أحد.

أخيرًا أختم بهذا وهو ذكر بعض الأمثلة على رد الشبه ردًا تفصيليًا قرأت في كتاب [التَّراتيب الإدارية]، ويسمى [نظام الحكومة النبوية] لعبد الحي الكتاني، عقد في الكتاب فصلًا عن المناظرات، ومما أذكر أن بعض سلاطين النصارى -أذكرها من باب تمليح المجلس قبل الختام-، أرسل إلى أحد الخلفاء العباسيين -أظنه المأمون- أن ابعث إلينا عالمًا من علمائكم يناظر علماءنا، فإن خَصَمَنا اتَّبعناكم وإن خصمناكم اتبعتمونا، فأرسل إليهم أحد أهل العلم الباقلاني، وهو أشعري وذكر ابن تيمية أنه من أقرب الناس لأهل السنة -كما أذكر-، وكان صاحب حجة وقوة، فيُذكر أنه دخل عليهم فقال أحد النصارى: يا أبا بكر أتزعم أن القمر انشق لنبيكم؟ قمر في السماء انشق لم تره يهود ولا الدَّيلم ولا التُّرك ولا الفرس ترونه دون

غيركم؟ فقال له أبو بكر: أتزعم أن الله أنزل على عيسى مائدة من السماء؟ قال: نعم، قال: ما شاء الله، تنزل مائدة من السماء عليها طعام ما رأتها اليهود ولا العرب ولا الترك ولا الفرس ولا الديلم؟! طبعًا نحن نعتقد هذا الشيء لكن من باب أنك الآن ترد على نفسك، فسكت.

فقال: ما فعلت امرأة نبيكم -قصده قبَّحه الله أمنا عائشة- فأراد الباقلاني أن يبيّن أنك الآن تتهم عقيدتك، فقال له: امرأتان أم نبيكم مريم وامرأة نبينا عائشة اتهمتا، فأم نبيكم أنجبت وليس لها زوج، وزوجة نبينا لم تنجب، مع أنهما ببراءة الله بريئتان عندنا عقيدة كلاهما طاهرتان نقيتان، فأنت الآن تتهم مريم لا تتهم عائشة، فانقطع.

فقال نبيكم يقاتل؟ قال: يقاتل، كسائر الأنبياء، قال: يغلِب أو يُغلب؟ قال: تارة يغلِب وتارة يُغلب، فصفق بيديه وقال: اعجبوا من نبي يُغلب!، فقال له: عيسى -عليه السلام- عندكم قُتل صُلب أو رُفع؟ قال: صُلب، قال: سبحان الله، أتعجب من نبي يُغلب ولا تعجب من رب يُصلب! فانقطع.

ومن اللطائف أنني قرأت في كتاب آخر أن عاملًا من عمال أحد الخلفاء أرسله، وهذه إجابة النقطة الثامنة، أحيانًا رد الشبهة يكون بالفعل لا بالقول، لكن هذه لصاحب السلطان وصاحب الأمر والنهي، قد يرى صاحب السلطة أن بعض الشبه أعظم ردٍّ على صاحبها وأسرع طريقة لدفنها في قبرها الفعل التعزير.

كان هناك رجل في عهد الخليفة عمر اسمه صَبِيغ بن عَسْل، كان يطوف على أجناد المسلمين وعلى بلدان المسلمين ومعه أوراق، فيها آيات وأفهام إذا قرأها شكَّك الناس فيها، حتى دخل مصر وكان واليها لعمر عمرو بن العاص، فأرسل عمرو بن العاص ذلك الرجل في البريد إلى المدينة، فلما وصل المدينة أعطى البريد لعمر الخطابَ، فلما قرأ عمر الخطابَ اهتمَّ بالرجل، قال أين الرجل؟ وهدد البريد إن كان فرَّ سيرى ما لا يسرُّه، فقال: هو موجود، فأدخل صاحب البريد الرجل على عمر، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ بن عسل، فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، ثم أمر عمر بجريد النخل فجلده حتى أُغشي، فقال، احملوه، ولا تكلموه ولا تُجالسوه ولا تُشاربوه ولا تُؤاكلوه ولا يُباع ولا يُشترى منه، فبقي حتى برئ بعد شهر، وعمر يتابع أمره، فقال: هاتوه، ثم جلده ثانية ثم حملوه، ثم الثالثة ثم حملوه، فلما أتوه بالرابعة، قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فأحسِن قتلتي، وإن كنت تريد إقناعي فقد أذهب الله عني شيطاني، فتركه.

فأحيانًا تضطر، لكن إذا كان لك سلطة، لأن بعض الشبه مثل هذه إذا رأى الناس ماذا فعل عمر بهذا الرجل خشوا من الكلام فيها ومن إثارتها ومن تناقُلها.

قرأت أن أحد الخلفاء العباسيين أرسل عاملًا على دير من أديرة النصارى، الدَّيْر عبارة عن مكان قرية عليها سور، فكان المزارعون يخرجون في النهار ويعودون في المساء، وكانوا يُغيظونه: قتلنا عيسى، صلبنا عيسى، فقال: اتقوا الله، دعوا عنكم شأن عيسى -عليه السلام-، فقال للجند: إذا رجعوا من مزارعهم لا يدخل أحد الباب حتى أكون حاضرًا، اجتمع المزارعون وغيرهم ممن معهم عند الحصن يريدون الدخول، فجاء الوالي فثاروا: قتلنا عيسى، فقال: عيسى رفعه الله، قالوا: صلبناه، قال: متأكّدون أنتم من الصلب؟ قالوا: نعم، قال: أيها الحرس لا يدخل أحد من هؤلاء حتى يدفعون دِيَة عيسى -عليه السلام-، قالوا: بل رفعه الله، رفعه الله، قال الآن أدخلوهم، من باب الدعابة معهم!

الشاهد قبل أن أفارقكم أوصي نفسي وإياكم على التَّزود بالعلم الشرعي، وسؤال الله أن يبارك في العلم، وأن يصاحب العلم عمل ودعوة وصبر واحتساب. وكذلك أوصيكم ونفسي بعدم الدخول والقراءة بل والمجالسة لأهل الشبهات، ومن يريد في كلامه اعتراضًا أو ايرادات على الأحكام الشرعية بقصد الانتقاص أو بقصد تمييع هيبة الحكم الشرعي.

كما أيضًا أوصيكم بالتَّناصُح فيما بينكم فقد يرى أحدكم من أخيه خللًا فيجب أن تُنكر هذا الأمر، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأنتم قدوة في مجتمعاتكم في بيوتكم في كلياتكم في مدارسكم، في أيّ مكان، وطالب العلم كالغيث أينما حلَّ نفع، فطالب العلم ينبغي أن يستحضِر أن الله أكرمه وشرَّفه، لا بشرف النَّسب ولا بالحسب، هذه الأمور مع الأسف جعل الناس الموازين بينهم.

ومن باب الفائدة للناس في مجالسهم خمسة موازين: ميزان النسب، وميزان الحسب، وميزان كثرة المال، وميزان كثرة الولد، وميزان المنصب، وهذه الموازين تنتهي، إذا لم تُستثمر في طاعة الله تكون حجة على صاحبها، ميزان المال والولد: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]، ميزان النسب: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ميزان الحسب والعشيرة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٥]، ميزان المنصب: ما نفع فرعون الملك ولا مع قارون الوزارة، باقي الميزان السادس أدق من ميزان الذهب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ..﴾، ما قال العربي ولا العجمي ولا الأسود ولا الأبيض، ذكر الوصف لا الشخص ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وليس على عبد تقيٍ نقيصةٌ إذا حقَّق التقوى وإن حاكَ أو حَجَمْ

أنا كنت أريد نصف ساعة لكن صدوركم وحسن أدبكم شفع لي أن أطلت زيادة.

أختم الكلام بتكرار الوصية لنفسي ولكم بالإخلاص في السر والعلن، ودعاء الله أن يرزقنا جميعًا الإخلاص في السر والعلن، والقول والعمل.

كما أوصيكم أن تستشعروا دوركم في مجتمعكم. وأيضًا وصية أخرى: لا تنظروا للناس بتشاؤم، من أعظم أسباب الإحباط لطلاب العلم النظرة للمجتمع نظرة تشاؤمية، (**من قال هلك الناس فهو أَهْلَكُهُم**)، إلا إذا قالها كما قال النووي: "من باب التحزُّن لبعث الهمم"، لكن تفاءل خيرًا، وأحسن الظن بالله، وأدِّ الرسالة العلمية، فإن استجاب السامع فلك وله، وإن أصرَّ فلك وعليه، ولا يظلم ربك أحدًا.

شكر الله لكم، وبارك في جهودكم، وجعلكم مباركين أينما كنتم، وجمعنا وإياكم في الدنيا على أحسن حال وفي الآخرة على أحسن مآل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والحمد لله الذي به تتم الصالحات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المقدم: شكر الله لشيخنا، وجعل ما قدَّم في ميزان حسناته، وفرَّج الله عنه كُرب الدنيا والآخرة، وقد كنا في كرب لكن شيخنا جزاه الله تعالى خيرًا فرَّج عنا، وهو وضعنا في كرب الآن لأنه يقول سؤال واحد والأسئلة كثيرة جدًا..

وهنا سؤالنا تكرَّر كثيرًا، وهو: ما نصيحتك لطالب العلم الذي انشغل بتتبُّع زلَّات إخوانه من الدعاة وطلبة العلم بحجة الإنكار عليهم، وأن السلف كانوا يردون على هؤلاء؟

الشيخ: هذا السؤال يتكرر كثيرًا، لكن بعض الناس قد وضع في ذهنه جوابًا معينًا، الرد على المخطئ وعلى المخالف قُربة، وصنَّف الشيخ بكر -رحمه الله- كتابًا سماه [الرد على المخالف من أصول الإسلام]، لكن نوع الرد، أسلوب الرد، من يتوَّلى الرد، يرد الإنسان على طالب العلم بالآداب العلمية، بل حتى على الشيخ، قد يفتح الله على طالب العلم أمرًا فيرُدُّ به على شيخه، هذا مألوف.

والردود على المخالفين أهل البدع، ابن تيمية أكثر كتبه ردود، ومن رأى هذا الأمر، وقرأ [العقود الدُّريَّة] و[المناقب العليَّة]، رأى أن أكثر كتبه ردود ذكرها طلابه.

لكن المشكلة في منهج الرد، ثم أنت يا طالب العلم، أنت حَكَم ولستَ خصمًا، إذا بلغك أن فلانًا رد على فلان، ما الموقف؟ أنت حَكَم، تقول ما المردود عليه، ما القول الذي رد عليه، ومن رد عليه؟ إذا كان الرد علميًا ومؤدبًا بآداب العلم، هذه قُربة، وكم ردَّ الصحابة على بعضهم، بل حتى عمر والصديق يرد عليه بعض الصحابة ويتناظرون، طبيعي، لكن الإشكال ليس هذا؛ الإشكال دخول الهوى والتعصب والحقد -أعوذ بالله-، الحقد الدفين، إذا قال فلان، فقوله باطل مهما قال!

فكلمة الرد مطلوبة، أذكر في درس سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- قال: يا شيخ فلان بحثَ بحثًا فخالف ابن حجر، قال لا مانع قد يوفِّق الله أحدًا فيُخالف من قبله، لكن إذا قرأت الرد وجدت النَّفَس العلمي المؤدب، ويختلف المردود عليه، يعني أنت الآن ترد على شخص من إخوانك: أخي الكريم كذا، لكن المشايخ: صاحب الفضيلة، الشيخ، الوالد، يعني من باب السياسة الشرعية في الكلام وفي الكتابة، لا مانع من الرد، لكن بشرط الأمور، القلبية بينه وبين الله هذا لا يعلمه إلا الله، لكن الأمور الظاهرة تكون ردًا علميًا مؤدبًا، سياق أدلة، إبطال حجج، طبيعي.

لكن المشكلة مِنْ مَنْ؟

من القرَّاء أو بعض القراء، فينبغي التعقُّل في الحكم وعدم التهور، وسبحان الله العظيم! المسحة العلميَّة على الشخص تظهر في مثل المواطن، ومسحة الجهالة والتعصُّب والانفعال تظهر في هذه المواطن، رد فلان على فلان، أنت طالب علم، تقول: أنا أقرأ المردود عليه ثم أقرأ الرد، وقد يكون الرّاد شرسًا في رده، أساء الأدب، لكن الذي يرد عليه قوله باطل، أنت تقول: هذا الرّاد أتى بحق لكن مع الأسف أساء الأدب في سياق الكلام، والمردود عليه مؤدب في سياق كلامه مع أن قوله مردود، أظن واضحة الصورة هكذا.

فينبغي أن تتَّسع صدورنا، أنت يا أخي أتاك شخص وقال لك: أخطأت، تفرح يا شيخ، هذا نبهك، لو يرى في ثوبك أذى ويسكت تقول: يا أخي أنت الآن ترى في ثوبي أذى، وأنا سأقابل الفضلاء وما نبهتني؟! إذًا كيف من رأى في خُلُقك أذى أو في ما قرَّرت أمرًا باطلًا؟!

فينبغي أيها الأكارم أن تتَّسع صدورنا، وربنا يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦]، وهم أهل الكتاب، بعلم، بصيرة، بيّنة، مصلحة. فأما الرد والتَّشفي نعوذ بالله!، وصل الحال بعض الردود إلى القدح في الأنساب، القدح في الألوان، القدح في الجنسية، القدح في الخَلْق، النَّبز بالعاهة الخلقية، أين الخُلق؟ أين سمات صغار طلاب العلم في هذا دع عنك كبار طلاب العلم؟! هذا كيف يطمئن في صلاته، كيف يخشع في صلاته؟ كيف يخشع في أذكاره؟ هذا محروم هذا يعذب نفسه بنفسه ويجلد ظهره بصوته.

فيا أيها الأكارم قلت لكم سابقًا وأقول لكم لاحقًا: أنتم قدوة ولكم تميُّز في مجتمعاتكم، وأنتم تحت المجهر، مجهر القدح أو المدح، فينبغي الإنسان يتعقَّل فيما يقول، فيما يقرأ، فيما يكتب، ويتقبَّل النقد، يعني يأتيك شخص ينصحك نصيحة، مُصيب في نصحه، يقول: أنت تتأخر عن الصلاة، دائمًا تقضي الصلاة وأنت وأنت، الكلام السليم، تعرف هذا من نفسك، لكن مع الأسف أسلوبه في النصح ما كان ينبغي بالطريقة هذه.

يقولون: جاء رجل لابن سيرين فقال: رأيتُ في المنام رؤيا أن أسناني سقطت، فعبَّرها فلان بأن كل أهل بيتي يموتون وأبقى وحيدًا، قال: بئس ما عبَّر، أخطأ، قال: عبِّر، قال: ما شاء الله أنت أطول أهل بيتك عمرًا، قال: فرَّج الله عنك، هي نفسها، لكن هذا أتى مع الجهة تلك، وذاك مع الجهة تلك.

المقدم: والله يا شيخ إن أذنت لنا بعض الأسئلة في تخصصك وهو طلب العلم ووصايا طلبة العلم فإن شئت نأخذ بعضها..

الشيخ: أنا عندي كتاب، طبعة جديدة من [المعالم في طريق طلب العلم]، لكن أسأل سؤالين وأمشي بعدها ومن أجاب فله جائزة، ذكرتُ خمسة أو ستة آداب للمناظرة أريد اثنين منها فقط، أنت تأتي عندي هنا فإن أصبت في ذِكرها أرسل كتاب للشيخ عيسى، وإن أخطأت تعطيني عهدًا أنك ما تتعشى هذه الليلة؟

المجيب: الأول العلم يا شيخ والثاني الإخلاص.

الشيخ: أنا أبي الأخيرات؟

المجيب: خلاص يا شيخ قولت اثنين وجبنا اثنين.

الشيخ: طيب اكتب يا شيخ عيسى اسم الكريم.

المقدم: أخونا جزاه الله خيرًا جاء من شرورة أجل حضور هذا اليوم، هو ووفد من شرورة.

الشيخ: ما شاء الله، هؤلاء والله يذكروننا بالرحلة في طلب العلم، جزاهم الله خيرًا وردهم إلى أهلهم وجميع من حضر سالمين غانمين موفَّقين مباركين.

السؤال الثاني: ذكرتُ شاهدًا من السنة النبوية على عدم حضور مواطن الشبهات؟

المجيب: (**إذا سمع أحدكم بالدجال فلينأ عنه**)..

شكر الله لكم، ومعذرة للإطالة..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع تحيات فريق مشروع التفريغ ☺

لمزيد من المعلومات الرجاء زيارة هذا الرابط:

http://www.shbaboma.com/vb/forumdisplay.php?f=87